

التبيان في تفسير القرآن

(210) ترجيا، وارتجى ارتجاء، والرجا - مقصورا - ناحية كل شئ، ويثنى رجوان وجمعه أرجاء، ومنه أرجاء البئر نواحيه، وقوله تعالى " مالكم لا ترجون " وقارا (1) أي لا تخافون، قال أبو ذؤيب: إذا لسعته النحل لم يرج لسعها * وخالفها في بيت نوب عواسل (2) أي لم يخف، وذلك أن الرجاء للشئ الخوف من أن لا يكون، فلذلك سمي الخوف باسم الرجاء، وأصل الباب الامل، وهو ضد اليأس. المعنى: وفي الآية دلالة على أن من مات مصرا على كبيرة لا يرجو رحمة الله لأمري: أحدهما - أن ذلك دليل الخطاب، وذلك غير صحيح عند أكثر المحصلين. والثاني - أنه قد يجتمع - عندنا - الايمان والهجرة والجهاد مع ارتكاب الكبيرة، فلا يخرج من هذه صورته عن تناول الآية له، وإنما ذكر المؤمنين برجاء الرحمة وإن كانت هي لهم لامحالة، لانهم لا يدرون ما يكون منهم من الإقامة على طاعة الله أو الانقلاب عنها إلى معصيته، لانهم لا يدرون كيف تكون أحوالهم في المستقبل. وقال الجبائي: لانهم لا يعلمون أنهم أدوا كما يجب عليهم، لان هذا العلم من الواجب، وهم لا يعلمونه إلا بعلم آخر، وكذلك سبيل العلم في أنهم لا يعلمونه إلا بعلم غيره، وهذا يوجب أنهم لا يعلمون إذا كما يجب عليهم. وقال ابن الاخشاد: لانه لا يتفق للعبد التوبة من كل معصية، واستدل على ذلك باجماع الامة على أنه ليس لاحد غير النبي (صلى الله عليه وآله). ومن شهد له عليه، فلا. ويمكن في الآية وجه آخر - على مذهبنا - وهو أن يكون رجاءهم لرخصة الله في غفران معاصيهم التي لم يتفق لهم التوبة عنها، واخترموا دونهم، فهم يرجون أن يسقط الله عقابها عنهم تفضلا. فأما الوجه الاول، فانما يصح على مذهب من _____ " 1 " سورة نوح آية: 13. " 2 " اللسان (رجا)، (خلف) في المطبوعة (عوامل) بدل (عواسل) أي دخل عليها وأخذ غسلها. ويروى " وحالفها " أي لزمها.